

المبحث الخامس عشر

نظم الحياة المرئية وغير المرئية

« إن قمة الإعجاز العلمى فى النص
القرآنى أن يشير لعالم ما لا نرى فى وقت
كثًا نجهل فيه هذا العالم لعدم قدرتنا
على رؤيته ».

د: عبد المجيد الزنداني
الأمين السابق لهيئة الأعجاز العلمى
فى القرآن الكريم والسنة النبوية، رابطة
العالم الإسلامى، مكة المكرمة

منذ أن نزل الإنسان إلى الأرض، وهو يعتقد أن تعامله يقتصر فقط على ما يرى ويدرك، من الكائنات الحيّة وغير الحيّة الموجودة في بيئته، والتي تؤثر فيه، ويؤثر فيها، لكنه لم يدرك أن ثمة كائنات حيّة أخرى تشاركه الحياة على سطح الأرض، وتتأثر بنشاطه، ويتأثر هو بنشاطها، وقد تأخذ هذه العلاقة بين الاثنين علاقة النفع أو علاقة الضرر، وقد تكون علاقة النفع من جانب واحد، أو من جانبيين فتأخذ صورة تكافلية أو تعايشية ورغم عدم رؤية الإنسان أو إدراكه لهذه الكائنات الحيّة إلا أن هذا لم يمنع تأثيرها فيه، والذي قد يودى أحياناً بحياته.

ومع التقدم الذي شهدته أجهزة الفحص الحيوى، والذي بلغت قوة تكبيرها مئات الملايين قدر الجسم الأصلي، بدأ الإنسان يتعرف على هذه الكائنات الحيّة ويدرس تركيبها، وكيفية أدائها لوظائفها والوسائل الممكنة لتطويعها لكي يستفيد منها.

ولقد سبق القرآن الكريم كل أجهزة الفحص الدقيقة في كشف اللثام عن هذه الكائنات الحيّة الدقيقة، وذلك ما نجده في قول الله تعالى في سورة الحاقة الآية (٣٨) - (٣٩).

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تَبْصِرُونَ﴾.

إذن يوجد في البيئة ما يعيش معنا، ولانبصره، ولكن قد نبصره مستقبلاً، ولذا كانت دقة اللفظ القرآني ﴿وَمَا لَا تَبْصِرُونَ﴾ ولم يكن القول - والله المثل الأعلى في قوله - ﴿بِمَا لَنْ تَبْصِرُونَ﴾، وذلك يمثل عطاءً من الله للإنسان ممثلاً في تلك القدرات العقلية التي منحه إياها ليستخدمها في كشف اللثام عن هذه الكائنات.